[107] وشباب لا يشوبه هرم، وقرار لا يخالطه هم. قال الملك: سأنظر إلى نفسي في الاختيار لها مما ذكرت لي، فإذا كان وقت السحر، فاقرع علي بابي لتعرف رأيى، فإنى مختار إحدى المنزلتين، فإن أقمت في ملكى، واخترت ما أنا فيه، كنت وزيرا لا تعصى، وإن خلوت كنت رفيقا لا تجفى. فلما كان السحر. قرع عليه بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، ولبس أطماره (1)، فلحقا بالجبل، فلم يزالا يعبدان ا فيه، حتى بلغ أجلهما، وانقضى عمرهما. فبكى هشام حتى بل لحيته، ثم نكس رأس طويلا، ثم أمر ينزع أبنيته وانتقاله، وأقبلت العامة من الموالى على ابن الاهتم. فقالوا له: ما أردت لامير المؤمنين، أفسدت عليه لذته، ونغصت عليه شهوته، وقد حرمتنا ما أملنا فيه. قال: إليكم عنى، فإني عاهدت ا ربى، أنى لا أخلو بملك إلا ذكرته ا، ونبهته ورشدته. ثم رجع خالد إلى فسطاطه، كئيبا حزينا، متخوفا يظن أنه قد هلك، وكان للربيع صديقا. فبينما هو كذلك، إذ أتاه رسول الربيع. فقال: يا صفوان، يقول لك أخوك الربيع: من كان في حاجة ا، كان ا في حاجته. إنك لما وليت من عند أمير المؤمنين جعل يقول: در ابن الاهتم، أي رجل دنيا وأخرى، مره يا ربيع، فليرجع حوائجه، وليغد إلينا بها نقضها له. فقال الربيع: فاغد علينا بحوائجك رحمك ا، واحمده على ما صنع، وأذهب من مخافتك. فغدا عليه بحوائجه فقضيت. وذكروا أنه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام، ولا أعظم قدرا، ولا أعلى صوتا منه، دانت له البلاد، وملك جميع العباد، وأديت له الجزية من جميع الجهات، من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند، وكان قريبا من الضعفاء، مهتما بإصلاح الادواء، لم يجترئ أحد معه على ظلامة، ولم يسلك أحد معه إلا سبيل الاستقامة، وكان له موضع بالرصافة أفيح من الارض، يبرز فيه، فتضرب له به السرادقات، فيكون فيه ستين ليلة، بارزا للناس، مباحا للخلق، لا يفنى أيامه تلك إلا برد برد المظالم، والاخذ على يد الظالم من جميع الناس، وأطراف البلاد، ويصل إلى مخاطبته بذلك الموضع، راعي السوام (2)، والامة السوداء، فمن دونهما، قد وكل رجالا أدباء عقلاء، بإدناء الضعفاء والنساء اليتامي منه، وأمرهم بإقصاء أهل القوة والكفاية عنه، حتى يأتي على آخر ما يكون من أمره، فيما يرفع إليه، لا ينضم إليه رجل يريد الوصول إليه، فينظروا أوضع منه إلا أدنوا الاوضع وأبعدوا الا رفع، حتى ينظر في شأنه، ويعرف أمره، وينفذ فيه ما أمر، ولا يرفع إليه ضعيف، ولا امرأة أمرا، وظلامة على غطريف (3) من الناس مرتفع القدر، ولا مستخدم به إلا أمر باقتضاء يمينه، وأغداه بمطلبه، لا يقبل لهم حجة، ولا يسمع لهم بينة، حتى لربما تمر به المرأة والرجل _____

(1) الاطمار: الثياب الباليه (2) السوام: الابل الراعية (3) الغظريف: السيد الشريف (*)
